



البصل والبيض و«الصلة» الأمريكية وتطبيع العلاقات!

أنيس منصور

القبيل

هل السلام عزيز وقبيلات؟
فالإسرائيليون يريدون الحيز، ولكنهم لا يجدون من المصريين
إلا القبيلات..
والمصريون يريدون القبيلات، ولكنهم لا يجدون من
الإسرائيليين إلا الحيز..
أى أننا نستعجل الحل السياسى، وهم يستعجلون الحل
الاقتصادى..

إذا جاءوا رجبنا بهم وأكدنا لهم أننا نريد الحياة الآمنة وأننا لا نريد الحرب.
وهم يصدقون ذلك. ولكنهم يريدون أن نذهب إلى ما بعد ذلك. أما الذى بعد
ذلك فهو أن يكون هناك بيع وشراء، وشركات وتجار، وأناس يروحون
ويجيئون..

ثم يكون هناك «دورى عام» لكرة القدم بين البلدين - وقد كان ذلك أول
سؤال وجه إلى الرئيس السادات في حضور السيد بيجين في الاسماعيلية.. منذ
ثلاث سنوات..

وقد تكرر الحديث عن «تطبيع العلاقات» في جميع المفاوضات واللقاءات
مع الرئيس السادات في الأيام الأخيرة..

والمفاوضات مع إسرائيل هي محاولة مستمرة لإقناعنا بضرورة الحيز والقبيلات
معاً. والحلاف بيننا على أيها نبدأ به. ولن تنتهى المفاوضات والحلافات مع
إسرائيل. لأن كل شيء قابل للتفاوض حتى الذى تفاوضنا فيه وافقنا عليه.
وذلك لأنه من السهل الشك عندهم في كل شيء..

ورقم كل التأكيدات الرحمة والشعبية والاستثناءات على السلام،
فإن المفاوضات أو المواطن الإسرائيلي يتساءل: هل هم حقاً
يريدون السلام؟..

و«هم» يعنى المصريين..

وفي حديث الرئيس السادات مع السيد اسحاق رابين رئيس وزراء
إسرائيل السابق قال له: لقد أحسست بالإهانة البالغة عندما سمعت
من يقول إن السادات بعد أن يسترد سيناء سوف يتقلب على إسرائيل،
ويعود إلى الصف العرى!..

وقد سبق أن أعلن ذلك السيد أريك شارون..
وسألني نفس السؤال الجنرال باريف في مكتبه بمعهد الدراسات السياسية بـ
أبيد..

وقد عاد هذا الشك من جديد بعد الشائعات الكثيرة التي ترددت عن
اتصالات سرية بين مصر والسعودية.. وبعد أن رأى الإسرائيليون أن في مصر
ربع مليون صالح عرى. ولكن الإسرائيليون لا يعرفون أن الشعوب العربية هي
التي تستريح إلى مصر، أما المشولون أو الشيوخ أو الأمراء فإنهم لا يجيئون.

ومنذ أسابيع توفيت حمة أحد الأمراء. ولم يسمح له بالحضور. بل إن أسرة
الفقيدة قد تلقت تليفونياً اعتذاراً رسمياً عن عدم الحضور. لأسباب تتعلق
بسلامة الأمير!؟..

وكانت اللقاءات حول موضوعات كثيرة متشابهة. وكان أبرزها
قضيتين: تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل والحكم
الذاتى للفلسطينيين..

أما «تطبيع العلاقات» فالشكوى الإسرائيلية أنه يمتنع

ببطء أو لايمشي مطلقا . وأن الإسرائيليين لايتوقفون عن زيارة مصر ، بينا لامصري يذهب إلى إسرائيل . لاسائح ولاطالب ولاصحفي ولاكاتب ..

ويرى الإسرائيليون أن هذا الإجماع المصري على عدم زيارة إسرائيل لايمكن أن يكون تلقائيا ، إنما هو بتوجيه من الحكومة . وعلى ذلك فالحكومة لا تريد التطبيع ، أو أنها تكتفي بهذا القدر الضئيل من العلاقات بين البلدين . وأن هذا يدل على أن مصر بدأت تغير موقفها ، وعلى ذلك فإسرائيل يجب أيضا أن تفعل نفس الشيء الخ !

وعلى الرغم من أنهم يجنون رد الفعل المصري الشعبي لقرارات حكومة إسرائيل وقرار ضم القدس وبناء المستوطنات وضرب الفلسطينيين ، واضحا تماما . فإنهم يرون أن مايفعلونه طبيعي . أما رد الفعل المصري فليس طبيعيا . أي أنهم لا يرون إلا وجهة نظرهم فقط ! ..

وبضربون أمثلة كثيرة وجزئية على الإبطاء في التطبيع أو على التخويف الرسمي لمن يحاول ذلك . مثلا : يقولون إن البوليس يطارد كل الذين تردوا على بيت السيد أحمد أبو الذهب في الإسكندرية . والسيد أبو الذهب متزوج من سيدة يهودية أسلمت ، وهي أخت السيد روبر داسا الذي كان متبها في قضية لافون . وكان السيد مناحم ييجين قد استأذن الرئيس السادات في أن تزور زوجته السيد أبو الذهب أمها في إسرائيل . وسافرت وعادت ..

ويقولون أيضا إن كل الإسرائيليين الذين تردوا على بيت السيد أبو الذهب طردهم البوليس . وهددهم إن فعلوا ذلك مرة أخرى .. حتى أن صحفيا إسرائيليا جاءه البوليس وطلب منه أن يسلمه جواز سفره ورفض الصحفى ! .. ثم إن السيد أبو الذهب حاول أن يستورد « اللصقة الأمريكية » من إسرائيل ليسمها في مصر ولكن التهديدات والصعوبات جعلته يعدل عن ذلك تماما ! ..

وفي الأسبوع الماضي أعلنت شخصية إسرائيلية مسئولة أن إسرائيل طلبت من مصر استيراد كمية كبيرة من البصل . وقد وافقت مصر شفويا ولكنها لم ترد على خطاب واحد من تسعة خطابات بعثت بها إسرائيل ! ..

أما موضوع البضعة ٣١ مليا ، فقد عرضتها إسرائيل لأغراق السوق المصرية . ثم عادت فعرضت بيعها بخمسين مليا . ثم امتنعت عن ذلك ، ويشاء المصريون : مايعنى ذلك ؟ وأين هي الجديدة وحسن النية ؟ ..

وقالوا إن المصريين الذين يترددون على سفارة إسرائيل في القاهرة يخافون من رجال الأمن الذين يهددونهم ويترعدونهم ويطاردونهم حتى بيوتهم ! .. وفى تل أبيب يقف طابو السفر إلى مصر في طوابير طويلة وطويلا .. والسبب هو نقص موظفي القنصلية المصرية .. ولابد أن يكون ذلك متعمدا من مصر . ويقولون إن تأشيرة الدخول نجى بعد شهر . رغم أن مصر وإسرائيل اتفقتا على ألا يتجاوز ذلك ١٥ يوما ..

وترى أجهزة الأمن المصرية أنه لا بد من النظر بمنتهى الدقة في تاريخ كل من يريد أن يدخل مصر من اليهود أو غيرهم من العرب . وهذا حق لكل دولة . وليس سرا أن تعرف من الذين يريدون أن يفسدوا الأمن العام في مصر . ولا المبالغ الطائفة التي يتقاضونها ..

وكانت علب البيرة الإسرائيلية « أو كى » قد هربت إلى السويس ماركت المصرية . وكما ظهرت بسرعة اختفت أيضا ..

ولكن لأحد يعرف كيف يمكن وقف تهريب الماس الإسرائيلي إلى مصر . وليس في استطاعة أحد أن يفتش الملابس الداخلية لكل من يجىء إلى مصر ..

والمطلوب منا جميعا أن ننظر بالعقل إلى كثير من الحوادث والاجراءات والمتغيرات السياسية والاقتصادية . وهذه النظرة الواقعية هي البداية الحقيقية للتطبيع في علاقات البلدين اليوم وغدا ..

وفي الرسالة التي وجهها الرئيس السادات إلى الشعب الإسرائيلي بمناسبة رأس السنة العبرية الجديد ٥٧٤١ ، قال إن هناك نوعين من التطبيع : قبل المبادرة كان تطبيع للعلاقات السيئة بين البلدين : علاقات الكراهية والخوف والتأثر . فقد اعتدنا على هذه العلاقات . ووجدناها حالة طبيعية .. فكأننا وجدنا طبيعيا ما ليس طبيعيا . ووجدنا عاديا ما ليس عاديا . ولكن بعد المبادرة بدأت تطبيع العلاقات الطيبة بين البلدين بالمودة والتفاهم والحوار والصداقة وحسن الجوار ، أملا في سلامنا مع إسرائيل والسلام الشامل لحل القضية الفلسطينية قلب الصراع وبدايته ونهايته أيضا ..

بل إن الرئيس السادات في رسالته ذهب إلى أبعد من ذلك عندما قال : بل إن التطبيع ليس بين حكومتين إنما بين شعبين . ولذلك سوف يجىء بطيئا أكيدا تلقائيا عميقا ..

وقال الرئيس السادات إنه في رسالته الأخيرة إلى السيد مناحم ييجين أبدى مخوفه من أن يجىء « وقت » نظرفيه وراياه في غضب ونقول : ما كان أغنانا عن هذه الصعوبات .. أعشى أن يجىء « وقت نظرفيه وراياه فلا نجد إلا أعمدة الملح التي تحذلت عنها التوراة - ملح الندم والكراهية واليأس من أن تكون لنا حياة في سلام ..

ولاختلاف بين الإسرائيليين على معنى التطبيع الحقيقي : إنه تطبيع للعلاقات المادية والعملية بين الشعبين ..

وقد كان السيد إسحاق رابين واضحا جدا وقاطعا جدا عندما قال للرئيس السادات : إنهم في إسرائيل قد أرادوا السلام ولكنهم لم يدوقوا ثمار السلام - الثمار الاقتصادية ! ..

□ □ □

أما الموضوع الثانى الذى تناولته اللقاءات العديدة مع الرئيس السادات فهو الحكم الذاقى الفلسطينى . وقد توقفت المفاوضات بسبب قرار ضم مدينة القدس . وهو القرار الذى جمع العالم كله ضد إسرائيل . حتى صرخ كثير من يهود العالم ضد هذا الموقف الخطأ الذى أتعش العداء للسامية في العالم كله ! ..

وقد أعجبني ما كتبه يوسف إيجر وهو عازف موسيقى وليس للفرقة السيمفونية الإسرائيلية . في مقاله الذى ظهر في العدد الأخير من نيوزويك . قال كانت له ست أخوات بات . واحدة تزوجت مسيحية . وأعلن أبوه الحداد حتى الموت - حتى موته وموت أخته أيضا . فكان الأب قد ضحى بالحبيب العالى ، من أجل أوهام دينية !

ويقول يوسف إيجر : إن والدى يشبه ييجين تماما . وييجين يفعل نفس الشيء . فهو يضحي بإسرائيل كلها من أجل أفكار ميتة جاءت في التوراة ! ..

وليس يوسف إيجر إلا واحدا من اليهود الذين يشفقون على إسرائيل وعلى

الشعوب اليهودية في كل مكان . بل إنه يسأل : هل السيد يجيز ضروري لليهود ! ..

وهو الذي يجيب : ليس ضروريا ! ..

وهو يقصد : فلسفة ييجين ليست ضرورية بل هي ضارة على المدى الطويل ! ..

ويرى يوسف إيجر أن ما يصلح لليهود يصلح للفلسطينيين أيضا . فيجب أن يحفظوا بالاحترام ، وأن يكون لهم وطن ، وألا يعيب عليهم أحد أنهم إرهابيون . فقد كان اليهود إرهابيين قبل قيام الدولة ..

ومضى ثلاثة أسابيع كتبت في هذا المكان أقول : إنه سوف تكون لقاءات ثنائية بين مصر وأمريكا وبين أمريكا وإسرائيل ، تمهيدا لقمة ثلاثية .. وسوف تتقدم أمريكا بورقة عمل للاتفاق أو الاختلاف عليها ..

وهذا ما حدث بالضبط . فسوف تكون لقاءات ابتداء من ١٥ أكتوبر القادم ، تمهيدا لقمة ثلاثية في ٢٠ نوفمبر القادم . وقد وجه الرئيس كارتر الدعوة إلى السيد ييجين الذي سيوزع نيويورك يوم ١١ نوفمبر ، أن يجيء للقائه في واشنطن . ووافق الرجلان على اللقاء ..

وفي يوم ٣ سبتمبر الحالى سلم السفير سول لينوتس نص « مذكرة الاتفاق » . وهو النص الأمريكى لورقة العمل التى سوف تناقشها أمريكا مع مصر . وبعد ذلك تناقشها مع إسرائيل .. والمذكرة من خمس صفحات ..

وتقول سطورها الأولى : « جمهورية مصر العربية ، ودولة إسرائيل ، والولايات المتحدة الأمريكية ، قد وافقت على أن وثيقة « مذكرة الاتفاق » هذه ، هي بمثابة اتفاق تمهيدى على صيغة الترتيبات الخاصة بالمرحلة الانتقالية التى وردت في « الإطار » لتحقيق السلام في الشرق الأوسط . وقد اتفقت الأطراف الثلاثة على أن هذه المبادئ يجب أن توضع في اتفاق نهائى على الحكم الذاتى . وأن الأطراف الثلاثة قد التزمت بهذا الهدف . وقد اتفقت الأطراف الثلاثة على أن مشاركة المواطنين الفلسطينيين مطلوبة تماما لتحقيق السلام الشامل الذى نص عليه « الإطار » ..

« ولقد وصلت مصر وإسرائيل بالتعاون مع الولايات المتحدة إلى مفهومات واتفاقات تتعلق بالخطوات التى سوف تتخذها لتنفيذ مبادئ هذا « الإطار » .. وعلى ذلك ، فلكي يكون حكم ذاتى تام لسكان الضفة الغربية وغزة ، أثناء فترة الانتقال ، ولتأكيد انتقال سلمى للسلطة ، ولتأكيد أمن إسرائيل وجيرانها ، ولكي يأخذ في الاعتبار أمن جميع الأطراف ، ولكي تحقق الأهداف التى جاءت في « الإطار » ، فقد اتفقت مصر وإسرائيل ، بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية على مايلي : ... »

وفي هامش هذه المذكرة جاءت هذه للملاحظة الهامة : في كل فترة يجد تعبير « الضفة الغربية » يكون معناه عند حكومة إسرائيل : يهودا والسامرة ..

وقد تسلم السيد ليونارد من د . بطرس غالى رد الحكومة المصرية على ما جاء في هذه المذكرة .. ولابد أن أمريكا قد تلقت ملاحظات إسرائيل أيضا على هذه المذكرة ، أو على مذكرة أخرى تم تعديلها قبل عرضها على مصر - نحن

لأنعرف ..

وقد أرسلت مصر ردها على هذه المذكرة إلى الفريق كمال حسن على ليكون تحت عينه عندما يلتقى اليوم في المستشفى بالسفير سول لينوتس ..

ولابد أن يكون السيد إسحاق شامير في لقائه بالرئيس السادات قد أبدى مخوفه من البيان المصرى الذى سوف يلقيه الفريق كمال حسن على يوم ٣٠ سبتمبر الحالى . ولذلك فقد شكك إلى الرئيس السادات من أن د . بطرس غالى لا يكف عن الهجوم على إسرائيل في المحافل الدولية . وهى نفس الشكوى التى أشار إليها السيد مناحم ييجين في رسالته الأخيرة يوم ١٨ أغسطس الماضى : إلى الرئيس السادات ..

ولكن الرئيس السادات التفت إلى السيد إسحاق شامير ومشييا إلى د . بطرس غالى قائلا : أمامك د . بطرس غالى وناقشه في ذلك ! ..

ثم قال الرئيس السادات :

إنك شخصا قد هاجمت اتفاقية السلام في الكويت ، ومع ذلك فنحن نجلس هنا معا ؟ ! ..



ومن الملاحظات المدهشة حقا أن نجد هؤلاء الإسرائيليين جادين صارمين متخوفين متشككين . وفي نفس الوقت يعدون قصة أو نكتة مضحكة للتعبير عن كل شيء ..

قال لي السيد إسحاق راين : إنه لا توجد فكرة أو قضية لا يجد لها د . بورح قصة مضحكة !

وقد روى مسئول إسرائيلى في الاسكندرية أنه أيا كانت الأسباب أو الدوافع أو المخاوف أو النتائج فلا بد أن يجرى ولا تتوقف عن الجرى .. ثم حكى لنا هذه القصة . قال إن اليهود في روسيا كانوا ممنوعين من مغادرة بعض المدن إلا بتصريح خاص . وقد حدث أن فكر اثنان من اليهود في الذهاب إلى إحدى المدن الكبرى . واكتشف أحدهما أنه ليس معه تصريح .. ولكن اليهودى الآخر قال له : ولا يهمك . سوف أتولى ذلك بنفسى . فإذا اقتربنا من رجل الشرطة فاهرب أنت بسرعة ..

وسأله الآخر : وماذا ستعمل أنت ؟

أجاب : أنا معى التصريح ..

- ولكن أنا ليس معى ..

- اهرب .. اهرب ..

وانطلق الاثنان يجران ولحق رجل الشرطة بالرجل الذى معه التصريح .. واستوقفه قائلا : معك تصريح ؟ قال : نعم ..

وأعطاه التصريح وداح رجل الشرطة يلقبه بمنهى الدقة ثم قال له : غريبة .. ان التصريح سلم تماما . فلماذا تجرى ! ..

قال الرجل : إن الطبيب أمرنى أن أجرى ساعة كل يوم ..

وسأله رجل الأمن : ولماذا تجرى زميلك ؟

فأجاب : لنفس السب ..

وسأله الشرطى : ولماذا لم تتوقف انت عندما وجدتني أطاردك ؟ ..

قال الرجل : لقد ظننت أن الطبيب قد نصحك أنت أيضا بالجرى ! ..



أما تفسير النكتة : فهو لابد أن يجرى وألا تتوقف سواء كان معنا تصريح بذلك أو لم يكن معنا .

فلا أحد يستطيع أن يتوقف أو يوقف السلام .. ■